الشعر الملتزم عند الشاعر عبد المنعم الفرطوسي/ دراسة في الموضوع والفنّ

Committed poetry according to the poet Abdel Moneim Al-Fartusi/a study in the subject and art

م.م حسن صالح حسن الدجيلي

المعهد التقني ـ النجف الأشرف

hssaan.saleh.inj@atu.edu.iq

أ.د.م. مصعب مكي زبيبة

كلية الآداب ـ جامعة الكوفة

musaab.zabiba@uokufa.edu.iq

الخلاصة :

كان لنشأة الشاعر الدينيّة والإسلاميّة سبب في توجه الشاعر عبد المنعم الفرطوسي إلى الشعر الملتزم العقائدي، وهو في هذا واكب كبار الشعراء الذي عرفوا بالالتزام والثبات على قول الحق من قبيل الكميت بن زيد الاسدي ودعبل الخزاعي وغيرهم كثير، وكان للجانب الفني حصته في شعر عبد المنعم الفرطوسي، إذ إنه استعمل الاساليب الفنية من تشبيه واستعارة التي تمثلت في فن التجسيد والكناية، وغيرها من الأساليب الفنية، التي كان لها الأثر الفاعل والمهم في التأثير في المتلقّي.

الكلمات المفتاحية:

عبد المنعم الفرطوسي/ الشعر الملتزم/ أساليب البيان.

Abstract:

The creation of the religious and Islamic poet caused the poet Abdel Moneim Al-Furtousi to turn to the most obligatory and idealistic poetry, and he was in keeping with the great poets who were known for their commitment and steadfast statements of truth such as Al-Kemit bin Zaid al-Asadi and Duabel Khuzaei and many others, The artistic aspect was in the poetry of Abdel Moneim Al-Fartousi, as he used the artistic styles of simile and metaphor that represented the art of personification and metaphor, and other artistic styles that had an active and important influence on the recipient.

Key words:

Abdul Moneim Al-Fartousi/ Committed Poetry/ Methods of Expression.

المقدمة

يتسم الشعر الولائي الملتزم بحبّ آل البيت ـ عليهم السلام ـ بالعمق والأصالة، فهو يمتدّ إلى عهود تاريخيّة قديمة من أيّام اغتصاب حقّ الولاية، فلم تخمد الأصوات من ذلك العهد، وبقيت مستمرة إلى يومنا هذا، وكان الشاعر (عبد المنعم الفرطوسي) خير دليل على هذا الخط الولائي الملتزم العميق، إذ نلحظه قد صدح بصوته من أجل الدفاع عن الحق والمبدأ والعقيدة، ومن أجل إبراز هذا الخط الولائي تركّز البحث على مبحثين كان الأوّل منهما بعنوان: (البعد العقائديّ الملتزم في شعر عبد المنعم الفرطوسي)، وحاول هذا المبحث أن يتلمّس أبعاد العقيدة عند الشاعر، وأهمّ المواقف التي تبنّاها .

أمّا المبحث الثاني؛ فقد تركّز على ملامح الالتزام الفنّي في شعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ، وناقش موضوعين مهمّين من الأساليب البلاغيّة ألا وهما البعد التشبيهيّ، والبعد التجسيديّ اللذان تعمّقا في النصّ الشعري للفرطوسي، ورأى البحث أن يشفع هذا المبحث ببعد ثالث هو البعد الكنائي الذي جاء على ثلاثة أقسام: الكناية عن الصفة ، الكناية عن الموصوف، الكناية عن النسبة، وتقدّم هذين البحثين تمهيد درس حياة الشاعر، وأهم مراحله، ومكانته الشعريّة، وختم بخاتمة، دُوِّنت فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث.

التمهيد

حياة الشاعر عبد المنعم الفرطوسي و آثاره الأدبية والعلمية:

أ. التعريف بالشاعر:

هو الشيخ عبد المنعم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عيسى ابن الشيخ حسن المعروف بالفرطوسي الكبير، ولد في قرية الرقاصة إحدى قرى المجر الكبير بمحافظة ميسان عام ١٩١٦م، ولكنّ نشأته منذ صباه كانت في النجف الأشرف، التي نشأ فيها نشأة علمية وأدبيّة، فدرس المقدمات الحوزوية على يدي والده، وغيره من الأستاذة المعروفين أمثال: السيّد عبد الهادي بن إسماعيل بن راضي الحسيني الشيرازي (١٨٨٨ــ ١٩٦٢م)، والسيّد محسن الحكيم (١٨٨٩. ١٩٧٠)، والسيّد أبي القاسم الخوئي (١٨٩٩.١٩٩٢م).

ذكر سيرته المؤلّف علي الخاقاني في كتابه شعراء الغري في الجزء السادس بقوله: "مترسّل إلى أبعد حدّ في سيره، وجلسته، وتواضعه، وحسن خلقه، وميوعته الاجتماعيّة، الميوعة التي حدّته على أن يساير نفراً تفوَّق عليه بجميع القوى والفضائل، ولكنّه لوداعته، وعدم شعوره بشخصيّته، أو بتعبير أصحّ نكرانه لذاته نكراناً غريباً حداه على هذه المشايعة، غير أنّه في الوقت نفسه احتفظ باتزان نفسي، وعزّة وإباء جعلته محترماً في نفوس النّاس." (الخاقاني، ١٩٥٦، ٤/٦) ، وقد عرف في الأوساط الأدبيّة والعلميّة بدماثة الخلق، والسيرة الطيّبة، وعرف عنه أنّه كثير الحفظ، والارتجال في الشعر.

ب. آثاره الأدبية والعلمية:

الشيخ عبد المنعم الفرطوسي من الكتاب المكثرين في نتاجهم الأدبي والعلمي، جمع بين الأدب، والشعر، والعلم، والتحصيل الحوزوي؛ ولهذا توزّع نتاجه المطبوع والمخطوط بين هذه الموارد، وهذه الأثار هي:

أولاً ـــ ديوان الفرطوسي: طبع بجزأين في مطبعة الغري الحديثة بالنجف سنة ١٩٥٧م، وأُعيد طبعه ثانية سنة ١٩٦٦ م. وقد جُمِعَ الديوان في حياة الشاعر، وهو من قام بجمعه والعناية به، وتصحيحه. وقد توزّع الديوان على سبعة أبواب رئيسة، هي على الآتي:

١ـــ من وحي العقيدة، وضم الشعر الذي قيل في حق الرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار. عليهم السلام ـ، وهذا الباب من أهم الأبواب التي ضمّها الديوان. ٢ـ صور من المجتمع، وضمّ الشعر السياسيّ، والوطنيّ، والاجتماعيّ. ٣ـــ دروس، وكان في الأخلاق، والتوجيه، والآثار، والعبر. ٤ـــ في محراب الطبيعة، وجاء في وصف الطبيعة والأرياف. ٥ـــ طلائع الآمال: وهي القصائد التي أنشدت في استقبال بعض الوفود القادمة إلى مدينة النجف الأشرف. ٦. الحبّ والجمال: جاء في العاطفة والتغزل والوجدان. ٧ـــ دموع وعواطف، وانحسر على رثاء الشخصيّات الوطنيّة والاجتماعيّة والأدبيّة، التي تجمع الشاعر معهم علاقات أخويّة.

ثانياً: ملحمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ: وهي الملحمة التي قيلت في حبّهم ـ عليهم والسلام ـ، وقدّم لها الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر (قدس)، وقد ضمّت (٢٨٢٠٤) أبيات، طبعت في سنة (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، وأعيد طبعها بتقديم المرحوم السيّد محمّد حسين فضل الله عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).

ثالثاً: الفضيلة: وهي في السرد الشعريّ.

رابعاً ــ أرجوزة شعرية في المنطق: وقد ضمّت مائتي بيت شعريّ، يوضّح علم المنطق بأسلوب شعريّ يسهل حفظه لدارسي العلوم الفلسفيةّ والمنطقيّة، وطلبة العلم في الحوزة العلميةّ.

خامساً: شرح حاشية ملا عبد الله في علوم المنطق.

سادساً: شرح شواهد مختصر المعاني للتفتازاني.

سابعا: شرح كفاية الأصول للمحقّق الكبير الأخوند محمّد كاظم الخرساني (قدس سره).

ثامناً ــ شرح الرسائل الأصوليّة، ورسالة الاستصحاب، وشرح مقدّمة البيع من كتاب المكاسب للشيخ مرتضى الأنصاريّ (قدس سره).

ج. نتاجه المخطوط:

. الوجدانيّات: هي مجموعة شعريّة تركّزت على غرضي الغزل والوصف.

د. نشاطه الأدبي والثقافي:

يعد الشيخ عبد المنعم الفرطوسي من مؤسسي جمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف، فضلا عن الشيخ محمد الخليلي، والشيخ علي الصغير، بحسب قرار أعضاء هيأة الجمعيّة المنعقد في ١٩٤٩/٤/٣٠م. وقد القى الشاعر عبد المنعم قصيدة ترحيبيّة لقدوم الأديب المصري البارز الدكتور زكي مبارك إلى الرابطة الأدبيّة، في المقابل دوّن الدكتور مبارك هذه الجلسة الأدبيّة في كتابه (ليلى المريضة في العراق)؛ إذ بقيت ذكريات النجف، والرابطة الأدبيّة عالقة في ذاكرته.

وألقى الشاعر الفرطوسيّ قصيدة ترحيبيّة؛ لمناسبة تكريم الوفد العلميّ القادم من مصر؛ لزيارة مدينة النجف الأشرف، بعضويّة كلّ من الدكتور حامد زكي عميد كليّة الحقوق المصريّة، والدكتور السيّد حسونة والاستاذ مبروك، والدكتور جابر جاد في سنة ١٩٤٣م، وقد جاء فيها:

أقصرْ يراعيَ لستُ بالخلِّ الوفي ... إنْ لم تعبِّرْ عن هواي بمَا يفِي

وجفوتَ حدَّكَ إن نبوتَ فلم تجدْ ... تكريمَ من وَافَى وأنتَ به حفِي

هذا ربيعُ الفضلِ قد أهدَى إلى ... واديك من نفحاتِهِ مَا يصطفِي

(ديوان الفرطوسي، ٢، ١٩٦٦/١٨٦)

هـ . وفاته:

عندما تدهورت الحال الصحيّة للشيخ عبد المنعم الفرطوسي؛ نتيجة لما كان يعانيه من مرض في جهازه التنفسي، وقد أصيب بالعمى في أخريات عمره، وفي ذلك قال الشاعر:

أبا الشهداء أنت لنا شفيعٌ مرجّى والشفاعةُ للحسينِ
وحاشا أنْ أبوحَ لكم بسؤلِي وأرجعُ منكم صفرَ اليدينِ
توجّه بالسؤالِ إليكَ قلبِي وأطلبُ من يديكَ شفاءَ عيني
(ديوان الفرطوسي، ١٩٦٦، ٢/٥٣)

وقد وافته المنية في إحدى مستشفيات (أبو ظبي)، إذ كان مقيما فيها سنة (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) عن عمر ناهز السابعة والستين. ونقل جثمانه الطاهر ـ رحمه الله ـ إلى النجف الأشرف؛ ليدفن في مقبرة وادي السلام، بجوار الإمام علي ـ عليه السلام ـ، وهو الذي يرجو شفاعته. وقد رثاه كثير من الأدباء، والشعراء، والشخصيات الدينية والسياسية الكبيرة.

المبحث الأول: البعد العقائديّ الملتزم في شعر عبد المنعم الفرطوسي

توطئة:

يرتبط مفهوم الالتزام في اللغة بالاعتناق والمداومة على الشيء(ابن منظور، د.ت، ٢/٥٣)، أما في الاصطلاح الأدبي فقد عرّفه مجدي وهبة بالقول: "اعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان لا لمجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال"، (وهبة، ١٩٨٤، ص٥٨) ، وعرّفه آخرون بالقول: هو أن يلزم الأديب في كل ما يصدر عنه من أدب وفكر عقيدة من العقائد أو نظرية من النظريات أو فلسفة من الفلسفات سواء أكان ما يلزم به دينيا أم سياسيا اجتماعيا أم نحو ذلك، بحيث يكون أدبه نابعا مما اعتقده ممثلا لما اعتقد غير حائد عنه أو خارج عليه.

إن تبني الأديب لموقف يرتبط بفكره وعقيدته لا يعني تقييدا لحريته بل هي استجابة لدوافع وجدانية نابعة من نفسه وقلبه، ولعل هذه الاستجابة هي التي أضفت على الالتزام معنى الشعور بالمسؤولية، إذ ليس في الالتزام ما يناقض فكرة الإبداع والتفرد أو يناقض قيم الجمال، وإنما هو وعي واقتناع وإيمان برسالة الأدب ومسؤوليته في تطوير الحياة أو تغيرها (ظ: أبو حاقة، ١٩٧٩،ص١٤).

شاع مصطلح الالتزام في الكتابات العربية عقب الحرب العالمية الثانية وقد ظهر هذا المصطلح كردة فعل تجاه حركة الفن للفن التي رأت في الشعر لونا من ألوان الترف يسعى أساسا لتحقيق غاية جمالية مبتعدا بذلك عن أية مسؤولية وغير مطالب برسالة.

الموقف من الالتزام:

تباينت آراء النقاد والمفكرين لقضية الالتزام ما بين مؤيد ورافض، وأضحى من العسير استخلاص رؤية واضحة في ذلك نتيجة لاختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ومواقفهم، ويمكننا استخلاص ثلاثة من تلك المواقف:

١. النقاد الذين لم يخفوا مواقفهم السلبية أو العدائية لقضية الالتزام وفقاً لقانون الابتكار والتجديد ولرؤيتهم بأن الالتزام يوحي بالجمود وغلبة النمطية.
٢. ومن النقاد من يرى في الأدب ذلك الفن الإنساني الرفيع الذي لا يمكن أن تقتصر رسالته على المتعة والسلوى أو اللهو وتزجيه الفراغ بل لا بد أن تكون له غاية للوصول الى الحقيقة التي يبحث عنها الإنسان، ورسالة في الخير أو تحقيق السعادة، (طبانة، ١٩٨٤،ص٢٠).
٣. النقاد الذين تبنوا رأياً ثالثاً وسطا لا ينفي هذا ولا ذاك وإنما يميل إلى الجمع بينهما لأنهما يشكلان الصورة الحقيقية للأدب الذي يمس الإنسان والكون والحياة.

وقد ظلّت قصيدة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ متدفّقة الدفء والعاطفة منذ خطواتها الأولى، فهذا أبو الأسود الدؤلي، يرثي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ بأبياتٍ متأجّجة بالأسى واللوعة:

أَلاَ أبلغْ معاويةَ بن حربٍ فلا قرَّتْ عُيونُ الشامتينا
قتلتُمْ خيرَ مَنْ رَكِبَ المطايا وخيَّسَها(١) ومَنْ ركبَ السَّفينا
ومَنْ لَبِسَ النَّعالَ ومَنْ حَذاها ومَنْ قرأَ المَثَانيَ والمئينا

(ديوان ابي الاسود،١٩٩٨،ص١٥٢)

وينطلق هذا الحبّ، وهذا الإصرار على مبدأ من الالتزام بالأدب، أو العقيدة التي تتطلّب ثباتاً على الموقف، وتضحيةً من أجل المبدأ؛ وتسخير الالتزام من أجل قضية حقيقية يؤمن بها الكاتب؛ ليصبحَ الأدب "وسيلة لخدمة فكرة معيّنة عن الإنسان، لا لمجرّد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال"،(وهبة،١٩٧٤،ص٧٩) ، ومشاركة الأديب لقضايا أمّته، ومبادئها المصيريّة، ومفاهيمها الإنسانيّة والاجتماعيّة؛ يعني الوقوف إلى جانب الإنسان في توجّهاته وقراراته التي تحمل مبادئ الولوج إلى القيم السماويّة؛ لأنّ الالتزام هو: "الموقف الذي يتّخذه المفكّر، أو الأديب، أو الفنان فيها، وهذا الموقف يقتضي صراحةً، ووضوحاً، وإخلاصاً، وصدقاً، واستعداداً من المفكّرِ؛ لأنْ يحافظ على التزامه دائماً، ويتحمّل كامل التبعة التي يترتّب على هذا الالتزام"(أبوحاقة،١٩٧٩،ص١٤) ،وهو يحمل الجدّية في الطرح، فضلاً عن البعد الفنّي الذي لا بدّ منه؛ لأنّ من دونه يصبح الأدب جثّةً هامدةً، لا روح فيها، ولا إحساس.

ولم تنضب في يوم من الأيّام حيوية القصيدة الولائيّة، لتبلغ شأوها باستشهاد الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ، سبط النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ، فتصاغ أروع ملحمة شعريّة تتفجّر عطاءً وانتماءً، فهذا السيّد الحميري ينعى الحسين ـ عليه السلام ـ، بمحضر الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ إذ تذكر الرواية التي أفردها صاحب كتاب (الأغاني) أبو فرج الأصفهاني أن التميمي، وهو علي بن إسماعيل عن أبيه، قال: كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمّد، إذ استأذن آذنه للسيّد [الحميري]؛ فأمره بإدخاله، وأقعد حرمه خلف الستر، ودخل؛ فسلم؛ وجلس؛ فاستنشده؛ فأنشده قوله(الاصفهاني، د. ت، ٢٩٩/١):

أُمْرُرْ عَلَىْ جَدَثِ الحُسَينِ وَقُلْ لأَعْظُمِهِ الزّكِيّةْ
يا أعظماً لا زلتِ من وطفاءَ ساكبةٍ رويّه
وإذا مررتَ بقبرِهِ فأطلْ بهِ وقفَ المطيّه
وابكِ المطهرَ للمطهـ ـرِ والمطهرةَ التقيّه
كبكاءِ مُعولةٍ أتتْ يوماً لواحدِها المنيّه

(ديوان السيد الحميري،١٩٩٩،ص٢٢٦)

فالقصيدة الملتزمة لم تفقد طابعها الأدبي، القائم على القوة التخيلية، والانحرافات الأسلوبيّة، والتحوّلات البلاغيّة، على الرغم من أنّها تستحضر روئ عقائديّة، تفضح السلطة المستبدّة؛ ولهذا نجدها في مظهرها الفني العميق مستندة على القيم البلاغيّة والأسلوبيّة التي تبعد القصيدة على أنّها مجرّد بيان إدانة. أو أنّها مجرّد وثيقة تاريخيّة تتمظهر في مدارج التاريخ الغابر، ولهذا نشهد أنّ القصيدة الملتزمة حاضرة في وجدان الأمة ليومنا هذا تتربّع على مكانتها السامقة، وكأنها كُتبت لساعتها الحاضرة.

والشاعر النابغ موضع اعتزاز وافتخار في أمّته، ولاسيّما الشاعر العقائدي الذي ينذر شعره وعمره من أجل قضيته الحقّة التي يُؤمن بها، وإن كلّفه ذلك الغالي والنفيس من أجل إعلاء كلمة الحقّ والإيمان والتحدّي، والذي هو مصداق لقوله تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}(النحل: ١٢٥).

لم يحد الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي عن المعاني السامية العقائديّة، وبقي وفياً لمبادئه وإيمانه المطلق بأحقيّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس بقوله تعالى: {إِنمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}(الاحزاب:٣٣) ، فاستحق لقب شاعر أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بجدارة. بما تميّز به من رثاء سيّد الشهداء (عليه السلام)؛ وهو القائل بعنفوان الكلمة، وصدق العاطفة ذلك القول الشهير :"إنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ"(الخوارزمي،١٤١١هـ،٨٨/٤) ، عندما يتصاغر الموت أمام ذلك العملاق الذي ما انثنت رقبته يوماً إلا لربّه، ولم يسجد إلى صنم من أصنام النفس، أو السلطان، إلا وهو مرتفع القائمة، يتطاول عزّه إلى أن يبلغ عنان السماء، إذ يقول ـ عليه السلام ـ: "فإنّي لا أرى الموت إلا سعادةً، والحياة مع الظالمين إلا برماً"(أبو نعيم الاصفهاني،١٩٩٦، ٣٩/٢). ينطلق الشاعر عبد المنعم الفرطوسي في شعره من كون أنّ الأدب مسؤوليّة وإرادة اجتماعيّة عليه أن يؤديه بكلّ أمانة وصدق "ولا بدّ أن يكون الكاتب مقتنعا به عميق اقتناع، حتّى قبل أن يتناول القلم، إنّ عليه بالفعل، أن يشعر بمدى مسؤوليّته"(سارتر،١٩٦٧،ص٤٤). ولهذا كان ديوان الشاعر عبد المنعم الفرطوسي مليئاً بالقيم الإنسانيّة والأخلاقيّة والثوريّة التي ارساها سيّد الشهداء ـ عليه السلام ـ، والتغنّي بفضائل الرسول الأكرم ـ ص ـ، وأهل بيته الأطهار

ـ عليهم السلام ـ، ومصداقا على هذا الالتزام قوله بحقّ الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ:

قرآن فضلك فيه يفتتح الفمُ حمداً وبالإخلاص ذكرك يختم

(ديوان الفرطوسي، ١٩٦٦، ١/١٥)

وهذا الحبّ، وهذا الولاء لم يكن ناتجا عن تحزّب أو فئويّة أو طائفيّة فإنّ هذه المحاور قد رفضها الشاعر بقوّة عبر شعره؛ إذ يقول:

لا طائفيّة والإسلامُ يربطُنَا من الإخاءِ بقربىً تفضلُ النسبا
فالطائفيّةُ نارٌ منْ يؤجّجها لابدّ أنْ يغتدي يوماً لها حطبا
وقوةٌ بيدِ المستعمرينَ بِهَا تغزو البلادَ وتستولي بِها غلبا
(ديوان الفرطوسي، ١٩٦٦، ١/١٤)

وعندما نبحث في ديوان الشاعر نجده يسير على وتيرة واحدة، يملأه الكبرياء، والعنفوان، والصدق، والعاطفة، والمبدأ، ويقول أيضا في قصيدة بمناسبة مولد سيّد الشهداء الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ:

أنتَ الحسينُ ودونَ مجدِكَ في العُلا مجدُ المسيحِ ودونَ أمَّكَ مريمُ
ولقد قُتِلْتَ بمصرعٍ يسمو به مجدُ المماتِ على الحياةِ ويعظمُ
والحقُّ مِنْ عينيْكَ ينبعُ نورُهُ والصدقُ في شفتيْكَ جمرٌ مضرمُ
وضحى جبينكَ وهو فرقانُ الهدى بدمِ الشهادةِ والسعادةِ يُوسَمُ

(ديوان الفرطوسي، ١٩٦٦، ١/١٥)

تشير القصيدة إلى علاقة ثنائيّة طرديّة بين العطاء الحسيني التي فدى به الحسين ـ عليه السلام ـ والعطاء الإلهي الذي منحه سبحانه وتعالى على مَنْ وفى بعهده، ونجح في الابتلاء الأكبر، فكان المجد والعلو حصته ومناله، فأصبح مجد المسيح دون مجده، وكانت هذه العلاقة متّصلة بمبادئ القرآن الكريم حين أشار

الشاعر قائلاً: (فرقان الهدى)؛ إذ كان تطبيقاً عملياً لتعاليمه عندما ضحّى (بدم الشهادة)، فكان مصداقا لقوله تعالى: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً"(الاحزاب:٢٣).

الالتزام يعني الموقف الذي لا يعرف الانكسار، ولا يركن للانهزام والتهادن؛ لأنّ الأدب موقف قبل أن يكون فنّاً، والأدب صدق، قبل أن يكون مشاعراً وأحاسيساً معبّرةً، والأدب إخلاص، واستعداد للتضحية من أجل ما يتبنّاه الشاعر من أقوال؛ لتتوافق الأقوال مع الأفعال، فلا تحيد عنها، ولا تتخلف عن طريقها، وإلا لا قيمة فعليّة للأقوال المجرّدة الخاوية عن مضمونها، وتحمّلها للمسؤوليةّ، ومحافظتها على قضيتها، وهكذا شارك الشاعر عبد المنعم الفرطوسي هموم مجتمعه، ولم يتنصّل عن مسؤوليّته في الكلمة الصادقة النبيلة، يقول (رحمه الله تعالى):

تضوّعَ المجدُ مِنْ عليالكَ في شيمٍ ... عبَّاقةٍ بأريجِ المجدِ والشيمِ
وكُرِّمَ الحقُّ إذْ توّجتَ مِفرقَهُ ... من الجِهادِ بأكليلِ الدما السَّجمِ
ومُجِّدَتْ تضحياتٌ منكَ خالدةٌ ... أنقذتَ دينَ الهُدى منها منَ العدمِ
بسيِّدِ الشهداءِ السبطِ قدْ خُتمتْ ... مجداً كما بدأتْ في سيِّدِ الأممِ
ضحيتَ نفسَكَ للإسلامِ منتصراً ... حتَّى قَضيتَ بحدٍّ الصارمِ الخذمِ
هويتَ والحقُّ من عينْيكَ مُنْبَعِثٌ ... نُوراً وَمِنْ شَفَتَيْكَ الصِّدقُ كالضرمِ
ومن محياكَ من نورِ الهُدى وضحٌ ... مكللاً بالقنا كاللّيثِ بالأُجمِ

(ديوان الفرطوسي، ١٩٦٦، ٢٥٥/١)

القصيدة تصوّر التضحية الحسينيّة، بلفظ يميل إلى كفّة العِبرة، والموقف، والتأثير، وليس إلى العَبرة، التي هي مهمّة أيضا، ولكن الشاعر أراد من قصيدته وكلماته، أن تكون متأجّجة بالانفعال الإنساني، بجعل القضية الحسينيّة مرجعاً للالتزام والثبات والاختيار، وهذا ما نلمسه حقّاً في كلماته: فالشهادة والقتل، ليس الموت والنهاية، بل هي ـ وفق المعجم الالتزامي ـ المجد والعلياء والشمم، والمعادل

الموضوعي للحقّ هو عندما ينشطر المفرق بالسيف، وعندما تسيل الهامة بالدماء، فالخلود مقرون بالتضحيات، لا بالتنازل، والتهادن، والتداهن؛ ولهذا كانت مسيرة السبط الشهيد الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ مسيرة دائريّة منطلقة من نقطة إشراقها سيّد الأنام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولتبقى هذه الحلقة دائرة في آفاق الضحية، من جيل إلى جيل، حلقة منيرة بالزهو، والنور، والصدق الذي يشبّبه الشاعر بـ (الضرم)، فالصدق هو اقتحام نيران الباطل، واشتعال في سبيل الله تعالى، ومقاومة حرارة الظلم والجور، واحتدام ومواجهة وصبر ومصابرة، وليس راحة وشبع ودعة وتهاون، فنور الهدى هو المكلّل بالرماح والسيف، وهكذا الأمر على طول الأيّام والسينين. والقصيدة تعرض لمواقف إنسانيّة رافضة للظلم والخنوع أكثر منها بكاء وعويل، بل هي صرخة تنسجم وما قدمه الحسين ـ عليه السلام ـ من تضحيات من أجل الدين الإسلامي، فالقصيدة مرآة للاختيار الأيديولوجي والحرية، لا محاولة مداعبة للمشاعر بكلمات مؤثّرة سرعان ما تتلاشى وتنطفئ مع مرور الأيّام، والالتزام هو بحث في المنهج، وتقويم للإنسانيّة، والرؤية المتوافقة مع المجتمع والعصر، والفكر المتكامل الصحيح، والرفض لقوى الجبروت والاستكبار. وهكذا يجب أن يكون دائما؛ لأنّ الأدب الملتزم هو "أن يكون الكاتب مقتنعاً به عميق الاقتناع، حتّى قبل أن يتناول القلم، أن عليه أن يشعرَ بمدى مسؤوليّته، هو مسؤول عن كلّ شيء: عن الحروب الخاسرة، أو الرابحة، عن التمرّد والقمع، أنّه متواطئ مع المضطهدين"(حاقة،١٩٧٩،ص٢١).

وتحمل كلمات الشاعر عبد المنعم الفرطوسي، قوّة التغيير، وفاعلية التقويم، وسريان التوجيه، وهذا ما نلمسه في قصيدته التي يقول فيها:

بني غالبٍ ثوروا عُجالاً بنهضةٍ تطيرُ بقلبِ الدهرِ من لجَبٍ ذعرا
بحيثُ نرى الدنيا بآلِ محمدٍ وقدْ ملئتْ عدلاً كما مُلئتْ جورا

(ديوان الفرطوسي ، ١٩٦٦، ٢٥٦)

والأبيات السابقة تثبت معياراً للالتزام؛ مداره أن تملأ الدنيا عدلاً، بعد أن ساد الجور، وعلا كعبه، وأصبح هو الشائع في دنيا الظلام والظلم، فتشظيات الثورة، وتحمل مسؤوليّة النهضة التي لا تعرف الذعر والخوف، هو مضمون ملتزم بأحقيّة الإنسان أن يكون معزّزاً، يرفل بالكرامة والحرية، ثائراً على بؤر الرجعيّة والتهميش. ويقول الشاعر أيضاً:

ولقدْ قُتلتَ بمصرعٍ يسمو بهِ مجدُ المماتِ على الحياةِ ويَعظمُ
والحقُّ من عينيْكَ ينبعُ نورُهُ والصدقُ من شفتيْكَ جمرٌ مضرمُ
وضُحى حبينكَ وهوَ فرقانُ الهُدى بدمِ الشهادةِ والسعادةِ يُوسمُ

(ديوان الفرطوسي، ١٩٦٦،١/١٥)

ترتسم تجربة الالتزام بهذه الأبيات بطريقة غير تقليديّة، إذ تتشكّل معالم جديدة للحياة الحقيقية، ليُصبح الممات حياةً، ويُصبح المصرع سمواً وعلواً، ويُصبح الحقّ نوراً، ويصبح الصدق جمراً مضرماً، ويصبح الهدى شهادة، ويصبح الدم سعادة، بهذا التوصيف غير التقليدي يلج بنا الشاعر نحو دروب الالتزام، فالسعادة ليست سفرة، أو إقامة في منتجع، أو نزهة عابرة، بل هي الالتزام بقضايا الإنسانيّة، ففي هذه الشاعريّة نجح الشاعر (عبد المنعم الفرطوسي) برسم تلكم المعالم الحقيقية للالتزام، حين صوّر المجد أن تلتحف بالإرادة، والشرف أن تقاتل، وتحمي، وتناضل، والفخر أن تعيش مخلصاً للدين والمذهب.

فالالتزام انصهار بالقضية التي يؤمن بها الإنسان المبدئي، والشاعر الملتزم هو الذي ينبض بهموم الأمة، وأحاسيسها، وأفراحها، وأحزانها، لا أن ينغلق على ذاته، باجترار مشاعر فرديّة غائبة الرؤية والمبدأ، وهو الإطار الإيجابي، والعلاقة

المتبادلة بين الشاعر ومجتمعه، وأمّته، وإنسانيّته، فهي ليست علاقة أخذ، أو عطاء، ولا علاقة تطابق، بل هي علاقة تلاحم، وذوبان، وتواشج (ظ: عباس،١٩٧٨، ١٥٦). هكذا تمكّن الشاعر (عبد المنعم الفرطوسي) ـ رحمه الله تعالى ـ أن يكون ملتزما بشعره على وفق معيار خاصٍ أخطّطه لنفسه، والتزم به في أغلب شعره، جاعلا منار أهل البيت ـ عليهم السلام ـ والإمام الحسين ـ عليه السلام ـ مساراً ومنبعاً لذلكم الالتزام.

المبحث الثاني: ملامح الالتزام الفني في شعر عبد المنعم الفرطوسي:

تعد الأساليب البيانية هي المائز والمعيار المغاير بين الكلام الفني ـ شعرا ونثرا ـ، والكلام الاعتيادي اليومي، الذي لا يحتاج إلى إبداع وممارسة بلاغيّة واعية؛ لأنّه يتمّ بصورة دائميّة وسريعة وارتجاليّة وتنافعيّة، بخلاف الأدب الذي ينتج ـ عادة ـ بعد ممارسة طويلة وموهبة ودربة، إنّ استغناء الأدب عن الأساليب البلاغيّة يُؤدّي إلى فقدانه لأهم خواصه ألا وهي التأثير والتفاعل وتحريك العاطفة، وينتج عنه أن يُصبح اللون الأدبي متصحّراً جافاً لا يثير الانبهار والتفوّق، وسنحاول في هذا المبحث أن ندرس ثلاثا من تلك المجالات لتحقيق الإبداع والأصالة، وهي: التشبيه والتجسيد والكناية.

أوّلاً: التشبيه:

التشبيه من الأساليب البيانيّة المهمّة، يتحرك بأدواته وتقنياته بوساطة الألفاظ في النصّ الشعري بوصفه نشاطاً جمالياً وإبداعياً، وهو يعمل على رقي النصّ الشعريّ؛ ولهذا نلحظه منتشرا في النصّ الأدبيّ الإبداعيّ، فالتشبيه "جارٍ كثيراً في كلام العرب، حتّى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد"(المبرد،٢،١٩٨٩/٩٢)، وقد عرف ابن رشيق التشبيه بقوله: "التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة، أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه" (ابن رشيق، ١٩٨١، ٢٨٦/١). ولكنّ هذا التشبيه

قد يدخل عليه التخييل الذي هو أساس عبقريّة الأديب، فينحى حينئذ إلى التغريب والتشويق، وهي صفة محبّبة في فنّ التشبيه، حتّى قد ينماز التشبيه في بعض الأحيان بالأشياء المتباعدة في الواقع الخارجي، فيقرّبُ بينها الفعل الفنّي، فيتقبّله المتلقي على أنّه فعلٌ واقعٌ صحيح.

ويؤدّي التشبيه فضلاً عن الاستعارة غرضاً ملموساً توضيحياً بيانياً تقريبياً على حدّ ما بينه ابن رشيق بقوله: "التشبيه والاستعارة جميعاً يخرجانِ الأغمض إلى الأوضح، ويقربانِ البعيد" (ابن رشيق،١٩٨٩، ٢٨٧/١) ، ولكن هذا الغرض ربما يبتعد عنه التشبيه؛ ليتيح بدله غرض الامتاع، والتأثير بحدّ ذاته من غير اعتبار للغرض النفعي الذي يبتعد عنه الشعر، والنثر الفنيين؛ ليبقى سلطان الفنّ والامتاع هو الحاكم الفاعل في أجراء التشبيه، محقّقاً الصورة الانفعاليّة التي يخلّفها التشبيه وتأثيرها في نفس المتلقّي بتحسين بعض الأشياء وتقبيح الأخرى.

وعندما نبحث في أبيات الشاعر عبد المنعم الفرطوسي نلحظ الفنّ، والإبداع، والتأثير، فضلاً عن الغرض التوصيلي والتقريبي الذي تحدّثنا عنه الذي يحققه التشبيه، يقول ـ رحمه الله ـ:

وكأنّني بكَ يا بُنيَّ بكربلا تُمسي ذبيحاً بالسيوفِ مبضّعا
ولقد رآه بمشهدٍ من زينبٍ هو والوصي وأمُّهُ الزهرا معا
ملقىً برمضاءِ الهجيرِ على الثرى تطأُ السنابكَ صدرَهُ والأضلعا
في مصرعٍ سفكتْ عليه دماؤهُ أفدي بنفسِي منه ذاكَ المصرعا

(ديوان الفرطوسي،٣،١٩٦٦/٩٣)

يقوم التشبيه في هذه الأبيات على الفعل السردي خلال تقنية الحوار بين الإمام الحسين، وابنه علي الأكبر عليهما السلام، إذ يتصوّر الشاعر من خلال الواقع الروائي (الوثائقي) حوار الأكبر مع أبيه، وقد طلب منه شرب الماء، ليس من أجله، وإنما من أجل التقوي على خوض المعركة، فيصوّر الشاعرُ الحسينَ ـ عليه السلام ـ

بوساطة تقنية التشبيه، وهو يحاكي ما سيؤول إليه حال ابنه، حينما يلتقي بجده رسول الله (ص)، إذ يسقيه شربةً لا يظمأ من بعدها أبدا" (روي أنّه [علي الأكبر] قَتلَ على عطشه مئة وعشرين رجلاً، ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبه، العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوّى بها على الأعداء؟ فبكى الحسين (عليه السّلام) وقال: ((يا بُني، عزّ على محمّد وعلى عليّ وعلى أبيك أن تدعوهم فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك. يا بُني، هات لسانك)). فأخذ لسانه فمصّه، ودفع إليه خاتمه وقال له: ((خذ هذا الخاتم في فيك، وارجع إلى قتال عدوّك؛ فإنّي أرجو أن لا تمسي حتّى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً))،(المجلسي،١٩٨٣، ٤٥/٤٥).. إذ برع الشاعر بتصوير الخواطر النفسيّة الداخليّة بين حنان الأب على ابنه، والواجب الذي يجب أن يؤدّيه، من غير تأثيرٍ على العاطفة الأبويّة على الابن، فيدفعه إلى الحرب مع علمه أنّ مآله سيكون القتل، ولكنّه يعلم مسبقا بأن القتل في سبيل الله سيصبح حياة دائمة، ولأنه عليه السلام يعي هذه الحقيقة، فسيكون به ارحم إذا ما دفعه إلى لهوات المعركة، وهذا مصداق للأبيات التي تأتي بعد الأبيات السابقة:

أفدي حسيناً حين خفّ مودعاً ... قبراً به ثقلُ النبوة أودعا
وافى إلى توديعه وفؤادُه ... بمدى الفراق يكاد أن يتقطعا
وغدا يبثُ له زفير شجونه ... بشكاته والطرف يذري الأدمعا
يا جدّ حسبي ما أكابد من عناً فأجابه ... في هذه الدنيا يُقضّ المضجعا
صبراً بنيَّ على الأذى ولقد حباك الله ... حتى تنالَ بذا المقام الأرفعا
ولقد حباك الله أمرا لم يكن ... بسوى الشهادة ظهره لك طيعا

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ٣/٩٣)

إذ ينجح الشاعر بما أوتي من اصطفاف بلاغي وفني من تصوير هذا الاحتدام النفسي والشعوري، فالشاعر الفرطوسي "مصور الخواطر النفسية الذي يلتقط الصور المعنوية من حياة المجتمع بريشة ذهنه المتوقد وخياله العبقري وإنّ الاضمامات المتنوعة التي يعرضها في حقله الشعري ليست هي إلا تلك الصور الاجتماعية التي انتزعها من صميم المجتمع عندما تغلغل في أعماقه فوقف على آماله وآلامه ونعيمه وشقائه وهواجسه وخواطره"(ديوان الفرطوسي، ١٩٦٦، ١٦/١).

ثانياً. التجسيد:

التجسيد هو بعث الروح في الجمادات والمعنويات والمادية، وإلباسها لبوس الجسد، فتتحرك هذه الأشياء أمامنا ناطقة بلسان إنساني، وتتفاعل معنا وتشعر وتتألم وتفرح، وهذه هي الفائدة من التجسيد في الأعمال الأدبية ولاسيما الشعرية منها، إذ إن التجسيد هو: "نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة، أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة، مثال ذاك الفضائل، والرذائل المجسدة في المسرح الأخلاقي، أو في القصص الرمزي الأوربي في العصور الوسطى، ومثاله أيضا مخاطبة الطبيعة كأنها شخص يسمع"(وهبة، ١٩٧٤، ١٠٢). وتتبلور الصورة التجسيدية عند من يمتلك الأدوات الفنية والبلاغية حتى لا تصبح صوره مشوهة لا ربط بينها ولا باعث تنشده ومن هنا أشار ابن الأثير بالقول عن التجسيد: "تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة، ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين، وأخلاق ولطافة مزاج"(ابن الاثير، ١٩٣٩، ١٩٥/١).

والقارئ في نتاج الشيخ الشاعر عبد المنعم الفرطوسي الأدبي لا يعدم أن يجد أسلوبية التجسيد مسخرة في النص الشعري بطريقة فنية رائعة فهو الشاعر المفوه الذي يشار إليه بالبنان وهو ما اكده ايضا السيد محمد حسين فضل الله

بشهادته عن مكانة الشاعر الفرطوسي بقوله: "الشاعر المبدع الذي تهتز المنابر لموقفه وتنطلق الحناجر بالاستحسان والاستعادة، في المحافل لروعة شعره الذي كان يتميز بالإبداع، في اللفتة واللمحة والكلمة، والعمق والوضوح، وكان إلقاؤه المميّز يدفع بالجماهير إلى أن تفهم معنى شعره، من خلال نبرات صوته، ونبضات ملامحه وتعابير وجهه .. وبذلك كانت هناك علاقة حبّ وتفاعل بينه وبين جمهوره"(الفرطوسي، ١٩٨٦، ٨/٣).

يقول الشاعر الفرطوسي بحق عبد الله الرضيع عليه السلام في قصيدة (أم الرضيع والمصرع):

فطوراً تناغيه وطوراً بلهفةٍ تعانق جيداً منه قد زين الدرا

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ٨٠/١)

فالجيد الذي هو (العنق) أصبح أنس الرباب زوج الإمام الحسين عليه السلام التي فقدت رضيعها وهو يعاني العطش، والجيد أصبح رمزا للتضحية عندما أصابه سهم حرملة بن كاهل الأسدي لهذا أكد عليه الشاعر في قصيدته، فالجيد عنوان التضحية بالغالي والنفيس، ولم يستثنَ من هذه التضحية حتى الطفل الرضيع الذي ذبح عطشانا.

ويقول في القصيدة نفسها:

ولم يبقِ منها وجدها وحنينها سوى قفص للخلد طائره فرّا

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ٨٠/١)

والشاعر هنا يرسم صورة فنية مدادها الإبداع وألوانها الكلمات والألفاظ، إذ جعل الشاعر آمالها ووجودها كله كأنه قفص قد فر طائره، فأي اعتبار لهذا القفص وهو قد أصبح خاويا بائسا؟!!، ومن خلال هذه الصورة الفنية الجميلة صور الشاعر معاناة الرباب وقد أصابها من شعور حزين وهي ترى طفلها الرضيع قد ذبح من الوريد إلى الوريد امام عينها.

ويقول الشاعر عبد المنعم الفرطوسي في مقدمة قصيدة (مصرع الشهيد):

بني غالبٍ ثوروا عجالا بنهضة تطير بقلب الدهر من لجبِ ذعرا

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ١/٧٨)

فقد جعل للشيء المعنوي والذي هو الدهر قلبا ينبض يتقلص ونبسط، ويخاف ذعرا مما حل به من جراء مقتل الحسين عليه السلام وما ستؤول إليه الاوضاع من جراء هذا الفعل الاجرامي الذي قام به آل امية لعنهم الله، ولهذا يدعو الشاعر القوم للاستعداد والتهيؤ من اجل الاخذ بالثأر من قاتلي الامام عليه السلام.

ويقول الشاعر أيضا:

فأخفت جبينا يبهر الشمس نوره وأردت عمادا يرفع المجد والفخرا

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ١/٧٨)

فنلاحظ أن الشعر قد جسد الشمس وجعل نورها ينبهر ـ وهي خاصية إنسانية ـ من نور الحسين عليه السلام بما ناله من حظوة وارتفاع مقام يغبطه فيها الأولون والآخرون لما قدمه من تضحية وفداء بالنفس والأهل والأصحاب.

وقال الشاعر الفرطوسي أيضا في هذا المقام:

أدمت ضمير الحق في شر طعنة مسددة في كف من سنن الكفرا

ويحجب نور الشمس منه على القنا شعاع جبين يكسف الشمس والبدرا

وأشجى مصاب أغضب الحق غيرة وأدمى جفون المجد فهي له عبرى

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ١/٧٨-٧٩)

ففي هذه الأبيات نلحظ التجسيد واضحا أيضا من خلال قوله: (ضمير الحق) إذ جعل للحق ضميرا وهذا من مختصات الإنسان، وفي البيت الثاني جعل للشعاع جبينا، وهو تجسيد مستساغ لأن الشعاع يوصف بالوضوح والبروق، وكذلك الجبين، ومن هنا جاءت الملاءمة والمناسبة بين الأوصاف، إذ لابد من وجود مناسبة

لتخليل التجسيد، فهي ليست عملية اعتباطية غير واعية. وفي البيت الثالث جعل للحق غضب وهو من مختصات الإنسان وجعل للمجد جفونا. كل تلك التجسيدات أكدت مكانة الشاعر عبد المنعم الفرطوسي في موهبته بعد ما حوّل الاحوال المعنوية والمادية والجمادات إلى أشياء ناطقة متفاعلة مع الحدث، إذ "أخذ الشاعر مكانته في الأوساط الأدبية، واحتل منزلة شامخة ومرموقة بين المشاهير من شعراء وأدباء عصره. فكانت المحافل الأدبية والمهرجانات الشعرية تعج بالوافدين لسماع قصائده والتزود من معين أدبه"(محلاتي،٢٠٠٠،ص٩٧). ولا يمكن للشاعر أن يكون ذا مكانة من دون تلك القيم الفنية والأدبية التي تمكن منها الشاعر الفرطوسي غاية التمكن من خلال ما عرضناه من اساليب فنية وغيرها الكثير.

٣.الكناية

الكناية عند الجرجاني (٤٧١هـ) "أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه، وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه"(الجرجاني ، ١٩٦١،ص٦٦) ، وأن تترك التصريح بذكر الشيء، وتعطف إلى لازمه(السكاكي،١٩٨٧، ص٥١٢). وهي "لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذ"(القزويني،٢٠٠٤،ص٣١٣) ، وفي بعض صورها حال اضطراريّة للتعبير عن الأشياء المسكوت عنها، التي تخالف الذوق العامّ، ومحاولة التأنّق، أو التغريب في التعبير(ظ: م. ن ص٥٥). وهي على ثلاثة أقسام:

أ. كناية عن صفة

ويقصد بها الصفات المعنويّة، فهي أن "يذكر الموصوف، وتستر الصفة مع أنّها هي المقصودة، والموصوف هو الملزوم الذي تلزم عنه الصفة، أو تلازمه، ومنه تنتقل إليه"(أبو العدوس،١٩٩٨، ص١٦٥). ومثالها قول الشاعر:

فلا نملةٌ قطّ في حبّةٍ تضامُ وَمِنْ رزقِها ممنعُ

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ص٣٥)

نلحظ الدلالة المجازيّة كامنة في مجمل البيت الذي يدلّ على صفة العدل، والقسط، وامتناع الظلم، ولو بأضيق مفرداته، فمن لا يظلم نملة في حبّة ـ دلالة على الضعة والتصغير ـ يكون أولى بالامتناع عن ظلم العباد وعامّة الناس، ولكن هناك من يرى أنّ الكناية مفرّغة من الدلالة المجازيّة، فالكناية "أن تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود، فإذا كانت تفيد المقصود بمعنى اللفظ، وجب أن يكون معناه معبراً ممّا نقلت اللفظة إليه عن موضوعها، فلا يكون مجازاً" (الرازي،١٨٩٩،ص١٦١ـ ١٦٢)؛ ليظهر المعنى الثاني بأنّه حقيقة، وليس هذا بمستبعد على أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ؛ فهو على وجه حقيقة لا يظلم نملة باستلاب حبّة قد حصلت عليها، وإن كان المعنى الثاني يدلّ بالتبع على الامتناع عن الظلم والجور بجميع أصنافه وأنماطه. ويقول الشاعر كذلك:

يا نهضةً في سبيل الحقّ صالحةً قد أعقبت فترةً للجهل فاحتجبا

جبارةً كم هوى تاجٌ بمفرقهِ لها فصافح من أقدامها التُّربا

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ص٤٠)

(هوى تاج) كناية عن صفة، فسقوط التيجان كناية عن سقوط الدول، وأنظمة الجور، وانقلابها، فبعدما أسست دولة الرسول (ص) الإسلاميّة العادلة، هوت التيجان، وانهارت الدول التي أقيمت على أسس الظلم والتكبر، ثمّ أنّ الشاعر جعل لهذه التيجان أقداماً على سبيل الاستعارة المكنيّة، وقد (صافحت) استعارة تصريحيّة، أي التقت مع التراب. وهنا الكناية لم تتعلّق بالألفاظ، بل بمعاني تلك الألفاظ؛ لأنّ الكناية "تتعلّق بالمعاني، وليست بالألفاظ، فلا يُكنّى باللفظ عن اللفظ، وإنما يُكنّى بالمعنى عن المعنى"،(الجرجاني، ١٩٦١،ص٦٠). وقال الشاعر كذلك:

يمشي الهوينا وقد وافت طلائعُهُ تؤمُ (يثربَ) من (أمِ القرى) فرقا

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ص٤٥)

في قول الشاعر (يمشي الهوينا) كناية عن صفة البطء بالسير، والوثوق والاطمئنان القلبي، والرفق بالعباد، والقصيدة ألقيت في جمعية الرابطة الأدبيّة ليلة عيد الغدير، تتغنّى بهذا العيد الأغر بعدما هبط نداء من الوحي يدعو الرسول الأمين ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ لإتمام دعوته وإكمال رسالته المحمديّة الغرّاء، بنصّ من القرآن الكريم في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة:٦٧). وقد جاءت الكناية داعمة لمعاني النصّ بإمامة الإمام عليّ ـ عليه السلام ـ في يوم الغدير، ممسرحة لحركة النبي ـ صلى اللّه عليه وآله ـ وقد أراد تبليغ جموع المسلمين في ذلك الهجير والحرّ، فمن وظائف الكناية "إثبات المعنى وتقويته في الذهن، فهي وسيلة من وسائل التوكيد الدلالي بآلية التصوير"(الجرجاني،١٩٦١، ص٢٨٣).

ب. الكناية عن موصوف:

هي التي يكون فيها الموصوف مستور مع أنّه هو المطلوب، والصفة مذكورة مع أنّها غير مطلوبة، أي" يكون الموصوف هو المحتجب المتواري"(الفيل،١٩٨٧، ص٢٩٥) والمثال عليها قول الشاعر:

وأدركتْ في وصي المصطفى ترةً كانت لها تبعثُ الأشجانَ والأرقا

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ص٤٦)

حصلت الكناية عن الموصوف في قوله: (وصي المصطفى)، وهو الإمام علي ـ عليه السلام ـ وقد حقّقت مستويين من البلاغة، الأوّل القريب وهو بيان شخص الإمام

علي ـ عليه السلام ـ، والثاني البعيد، إذ بين قرب الإمام ـ عليه السلام ـ من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأحقيّته بالوصاية من بعده. وقال الشاعر كذلك:

وأضحى ابنُ طه وهو من سننِ الهدى وشرّفَ من دنيا الفخارِ المعاليا

(ديوان الفرطوسي، ١٩٦٦، ص٥١)

في البيت كناية عن موصوف في قوله (ابن طه)، والمقصود به في البيت الإمام الحسن ـ عليه السلام ـ، والكناية جاءت لبيان فضله عليه السلام، فهو ابن بنت رسول الله (ص)، بدلالة الآية القرآنية في سورة آل عمران قوله تعالى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}(آل عمران:٦١). وقال الشاعر:

أنتَ يَا مَهْبَطَ القَدَاسَةِ حَقّاً أفقُ الحقِّ في سَمَاءِ لويّ

(ديوان الفرطوسي، ١٩٦٦، ص ٥٣)

في قول الشاعر (مهبط القداسة) كناية عن موصوف، وهو الإمام الحسين ـ عليه السلام. في هذه البيت، ففي ضريحه تهبط الملائك، وتحيطه وتحيط زواره البركات وغفران الذنوب.

جـ. كناية عن نسبة

هي أن تثبت الصفة للموصوف، وتكتسب أهمّيتها بأن تخصّص الصفة بالموصوف المصرّح به(ظ: السكاكي، ١٩٨٧،ص ٥١٨) ، ويتمّ بها الانتقال من اللازم إلى الملزوم. وهي: "فنّ من القول دقيق المسلك، لطيف المأخذ"(الجرجاني ،١٩٦١،ص٢٩٧) والمثال على كناية النسبة الصفة عن الموصوف، قول الشاعر:

هذا عليٌ وذي دنياه حاشدةٌ بالزهد والنسك منه عفّةً وتقى

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ص ٤٧)

كناية عن نسبة فقد نسب الزهد والنسك لدنياه، وليس له ـ عليه السلام ـ، فقد ركّزت الكناية على احتقار الدنيا بالنسبة للإمام علي ـ عليه السلام ـ فالزهد

والنسك جرى لحقارة الدنيا في نفس الإمام، وضآلتها وضعتها وصغرها في ذات الإمام الكبيرة. وقال الشاعر:

وأملأ بقاعَ الأرضِ عدلاً مثلما مُلئتْ بأعداءِ الهُدى عدوانا

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ص ٥٩)

في البيت كناية عن نسبة، فقد نسب العدل إلى الأرض، المقصود به العدل على البرية، عن طريق المجاز المرسل بعلاقته المحليّة، أي ذكر المحل، والمراد الحال، والكناية "أقرب ما تكون إلى طبيعة المجاز المرسل؛ وذلك لأنّها مثله تقوم على علاقة المجاورة لا المشابهة، كما تتغذّى من ذلك النزوع العرفي عند المستعمل الذي يتقيّد هو الآخر بما تتواضع عليه الجماعة" (الولي،١٩٩٠،ص٢١) ، والكناية بهذه الصورة تكون أبلغ بأن تجعل العدالة للناس بصورة مباشرة؛ لأنّ العدالة عندما تنسب إلى الأرض تكون أوقع وأكثر تأثيراً، فالعدالة سوف تحصل بالمناخ والطبيعة والثروات، وهنا تكون العدالة للبرية بصورة التامّة الشاملة. وقال الشاعر:

وضريحاً ودتِ الشهبُ بأنْ تغتدي فيه شموعاً وزهوراً
واستطالتْ كلُّ نفسٍ نحوه ومن الأفراحِ كادتْ أن تطيرا

(ديوان الفرطوسي،١٩٦٦، ص ٦٥)

في البيتين كناية عن نسبة، ففي قوله: (استطالت كلّ نفس نحوه)، أي نحو الضريح، فقد صوّر الشاعر شوق الأنفس وحبّها للإمام علي ـ عليه السلام ـ، لمناسبة تجديد شباك الإمام علي ـ عليه السلام ـ، ولكن الشاعر نسب الشوق والحبّ إلى الضريح، والأنفس إنما تهفو إلى صاحب الضريح، والضريح شيء مادي تتشوق إليه الناس حباً لصاحبه، والشاعر قيس بن الملوح يقول:

أَمُرُّ عَلى الدِيارِ دِيارِ لَيلى أُقَبِّلُ ذا الجِدارَ وَذا الجِدارا
وَما حُبُّ الدِيارِ شَغَفنَ قَلبي وَلَكِن حُبُّ مَن سَكَنَ الدِيارا

(الحموي، ٤،١٩٨٧/٢١٢)

فقد نسب الحبّ والهيام إلى الجدار، وإنما شوقه منصب إلى حبّ ليلى. فوظيفة الكناية في الأساس استعمال مدلول نيابة عن مدلول آخر، يتعلّق به بطريقة ما تعلقا مباشرا شديدا، وتستند الكناية إلى علاقات تأشيريّة متنوّعة بين المدلولات، وبالأخصّ إقامة النتيجة مكان السبب (تشاندلر، (د.ت)، ص٢٢٣) ، فقد حققّت الكناية في شعر الشاعر عبد المنعم الفرطوسي الولائي؛ فضلا عن مدلولها المعنوي صورا جمالية ثرة بالإبداع والسمو والرفعة.

الخاتمة:

١. كان لنشأة الشاعر الدينيّة والإسلاميّة سبب في توجه الشاعر عبد المنعم الفرطوسي الملتزم، وهو في هذا واكب كبار الشعراء الذي عرفوا بالالتزام والثبات على قول الحق من قبيل الكميت بن زيد الاسدي ودعبل الخزاعي وغيرهم كثير.

٢. كان ديوانه (ديوان الفرطوسي) حاملا في طيّاته عبق الولاء والثبات على حبّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ، وظلت المحافل الأدبيّة عاجة به، تترقّب ارتقائه المنبر من أجل أن يصدح بصوته الولائي العميق.

٣. كان للجانب الفني حصّته في شعر عبد المنعم الفرطوسي، إذ إنّه استعمل الأساليب الفنيّة من تشبيه واستعارة التي تمثلت في فنّ التجسيد والكناية، وغيرها من الأساليب الفنية، التي كان لها الأثر الفاعل والمهم في التأثير في المتلقّي. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر:

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

- ابن رشيق، (١٩٨١)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥.

- ابن معتوق، (١٨٨٥م)، ديوان شهاب الدين الموسوي المعروف، تحـ: سيعد الشرتوني اللبناني، المطبعة الأدبية، بيروت ـ لبنان.
- ابن منظور، (ت:٧١١هـ)، (د.ت)، لسان العرب، اعتنى بتصحيحها: أمين محمّد عبد الوهاب ومحمّد الصادق العبيديّ، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، ط٣.
- أبو الأسود الدؤلي، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ديوان أبي الأسود الدؤلي تحـ: محمّد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط٢.
- أبو الفرج الأصفهاني، (د.ت)، الأغاني، تحـ: سمير جابر، دار الفكر، بيروت.
- أبو نعيم بن عبد اللّه الأصفهاني، (ت٤٣٠هـ)، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، حلية الأولياء وطبقات الأوصياء، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- أحمد أبو حاقة، (١٩٧٩)، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت،.
- أحمد محلاتي، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، الشيخ عبد المنعم الفرطوسي حياته وأدبه، المكتبة الأدبية المختصة.
- بدوي طبانة، (١٩٨٤)، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ، الرياض.
- تقي الدين علي بن عبد اللّه الحموي، (١٩٨٧)، خزانة الأدب وغاية الإرب، دار الهلال، بيروت، ط١.
- توفيق الفيل، (١٩٨٧)، فنون التصوير البيانيّ، ذات السلال، الكويت.
- جان بول سارتر، (١٩٦٧)، الأدب الملتزم، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط٢.
- جلال الدين محمّد الخطيب القزويني، (٧٣٩هـ)، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحـ: محمّد عبد القادر الفاطمي، المكتبة العصريّة، بيروت.

- الحميري، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ديوان السيد الحميري، تحـ: ضياء حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١.
- دانيال تشاندلر، (د.ت)، أسس السيميائيّة، تر: طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط١.
- السكّاكي (٦٢٦هـ)، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢.
- شوقي ضيف، (د.ت)، البحث الأدبي، دار المعارف، القاهرة.
- عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، (١٩٦١)، دلائل الإعجاز، تحـ: محمّد عبده ومحمّد رشيد رضا، القاهرة.
- عبد المنعم الفرطوسي، (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ديوان الفرطوسي، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، ط٢.
- عبد المنعم الفرطوسي، (١٩٨٦)، ملحمة أهل البيت (عليهم السلام)، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) بيروت، ط٢.
- علي الخاقاني، (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)، شعراء الغري (النجفيات)، المطبعة الحيدرية، النجف.
- المبرد، (١٩٨٩)، الكامل في اللغة والأدب، تحـ: تغاريد بيضون ونعيم زرزور، ط٢، بيروت.
- مجدي وهبة وكامل المهندس، (١٩٨٤)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة، لبنان، ط٢.
- مجدي وهبة، (١٩٧٤)، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة دار القلم، بيروت، ط١.

- محمّد الولي، (١٩٩٠) الصورة الشعريّة في الخطاب البلاغي النقدي، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، ط١.
- محمّد باقر المجلسي، (١٩٨٣)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٣.
- الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (٥٦٨هـ)، (١٤١١هـ)، المناقب، تحـ: مالك المحمودي، ومؤسسة سيد الشهداء عليه السلام، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران، ط٢.
- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مطبعة الآداب (١٨٩٩)، القاهرة، مصر.
- يوسف أبو العدوس، (١٩٩٨)، المجاز المرسل والكناية الأبعاد المعرفيّة والجماليّة، منشورات الأهليّة للنشر والتوزيع، لبنان، ط١.

References

- Abu Al-Aswad Al-Du'ali, (1418 AH/1998 AD), Diwan of Abu Al-Aswad Al-Du'ali, edited by: Muhammad Hassan Al Yassin, Publications of Dar and Library of Al-Hilal, 2nd ed.
- Abu al-Faraj al-Isfahani, (no date), The Songs, edited by: Samir Jaber, Dar al-Fikr, Beirut.
- Abu Naim bin Abdullah Al-Isfahani, (d. 430 AH), (1416 AH/1996 AD), The Ornament of the Saints and the Classes of Guardians, Al-Khanji Library, Cairo.

- Ahmed Abu Haqa, (1979), Commitment in Arabic Poetry, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut.
- Ahmed Mahallati, (1420 AH/2000 AD), Sheikh Abdul-Moneim Al-Fartousi, his life and literature, Specialized Literary Library.
- Badawi Tabana, (1984), Issues of Literary Criticism, Dar Al-Marikh, Riyadh.
- Taqi Al-Din Ali bin Abdullah Al-Hamawi, (1987), The Treasury of Literature and the Goal of Desire, Dar Al-Hilal, Beirut.
- Tawfiq Al-Feel, (1987), Graphic Arts, That Al-Sallal, Kuwait.
- Jean-Paul Sartre, (1967), Committed Literature, trans. George Tarabishi, Dar Al-Adab Publications, Beirut.
- Jalal al-Din Muhammad al-Khatib al-Qazwini, (739 AH), (1424 AH/2004 AD), Al-Idah in the Sciences of Rhetoric, ed.: Muhammad Abd al-Qadir al-Fatimi, Al-Asriya Library, Beirut.
- Al-Hamri, (1420 AH/1999 AD), Diwan of Sayyid Al-Hamri, edited by: Diaa Hussein Al-A'lami, Publications of Al-A'lami Foundation for Publications, Beirut - Lebanon, 1st ed.
- Daniel Chandler, (n.d.), Foundations of Semiotics, trans. Talal Wahba, Center for Arab Unity Studies, Arab Organization for Translation, Lebanon, 1st ed.
- Al-Sakaki (626 AH), (1407 AH/1987 AD), The Key to Sciences, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut, 2nd ed.
- Shawqi Dayf, (n.d.), Literary Research, Dar Al-Maaref, Cairo.

- Abdul Qaher Al-Jurjani (d. 471 AH), (1961), Evidence of the Miracle, ed. Muhammad Abduh and Muhammad Rashid Rida, Cairo.
- Abdul-Moneim Al-Fartousi, (1386 AH/1966 AD), Al-Fartousi's Diwan, Al-Ghari Modern Press, Najaf Al-Ashraf, 2nd ed.
- Abdul-Moneim Al-Fartousi, (1986), The Epic of the People of the House (peace be upon them), Ahl al-Bayt Foundation (peace be upon them), Beirut, 2nd ed.
- Ali Al-Khaqani, (1376 AH/1956 AD), Poets of Al-Ghari (Najaf), Al-Haidariyyah Press, Najaf. • Al-Mubarrad, (1989), Al-Kamil in Language and Literature, ed.: Tagharid Baydoun and Naim Zarzur, 2nd ed., Beirut.
- Magdy Wahba and Kamel Al-Mohandes, (1984), Wahba, (1974), Dictionary of Literary Terms, Dar Al-Qalam Press.
- Muhammad Al-Wali, (1990) The Poetic Image in Critical Rhetorical Discourse, Arab Cultural Center, Casablanca, 1st ed.
- Muhammad Baqir al-Majlisi, (1983), Bihar al-Anwar, the comprehensive pearls of the news of the pure Imams, publisher: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut - Lebanon, 3rd ed.
- Muhammad bin Al-Hassan Al-Hurr Al-Amili (d. 1104 AH), (1424 AH/2003 AD), Detailing the Shiite Means to Acquire the Issues of Sharia, edited by Aal al-Bayt Foundation for the Revival of Heritage, Aal al-Bayt Foundation for the Revival of Heritage - Beirut, 2nd ed.

- Muhammad Zaghloul Salam, (n.d.), The Impact of the Qur'an on the Development of Arabic Criticism until the End of the Fourth Century AH, Dar Al-Maaref, Cairo, 1st ed.
- Al-Muwaffaq bin Ahmad bin Muhammad Al-Makki Al-Khwarizmi (568 AH), (1411 AH), Al-Manaqib, edited by: Malik Al-Mahmoudi, and the Sayyid Al-Shuhada Foundation, Peace Be Upon Him, the Islamic Publishing Foundation, Holy Qom, Iran, 2nd ed.
- Youssef Abu Al-Adous, (1998), Metaphor and Metonymy: Cognitive and Aesthetic Dimensions, Al-Ahliya Publications for Publishing and Distribution, Lebanon, 1st ed.